الإتحـــــــاف
فـــي رسم الـــمصحف

د. مشاعل سالم عبد الله باجابر

الأستاذ المشارك بقسم القراءات

جامعة أم القرى

مقدمة:

الحمدلله الذي شرح صدورنا لكتابه، وعلمنا معانيه وأسلوب خطابه، وأرشدنا إلى مافيه خيره وصوابه، ونسأله أن يجعلنا ممن يقوده القرآن إلى دار ثوابه، ويفتح لنا به من الخير أبوابه، وأشهد أن لاإله إلا اللهشهادة عبد تمسك بحبل الله وكتابه، وأن محمداً عبده ورسوله القائل:(أن القرآن يشفع يوم القيامة في أصحابه)[1] ، فصلى الله عليه وعلى أصحابه، الذين برعوا في تجويده وإتقانه وإحكامه ورسمه وأسبابه، ورضي الله عن كل من اقتدى أثره وتأدب بآدابه، وكان من المقبلين عليه ومن طلابه، وجمعنا الله في دار إحسانه مع أحبابه.

وبعد:

فإن علم رسمالمصحف، وضبطه من أجل العلوم وأسماها، لتعلقه بأشرف الكتب وأعلاها، فهو يرتبط ارتباط وثيق بالقرآن الكريم، وقد قيض الله عز وجل لكتابه العزيز أئمة من فحول العلماء اعتنوا بعلم رسمه، فنقلوا كيف كتب القران عليهافي مصحف عثمان، وبينوا كيفية ضبطه بما يزيل اللبس عن حروف القران، وقد ألفوا في ذلك مؤلفات عديدة، كالمقنع والمحكم والتنزيل والتبيين والمنصف والعقيلة فصارت مصنفاتهم أصولا يرجع المؤلفون بعدهم إليها.

وقد اخترت هذا الموضوع وهو (رسم المصحف) لأنه موضوع قيم ومفيد في القراءات، ولجأت فيه إلى الاختصار وتناولت بعض الموضوعات التي تفيدنا في هذا البحث، ولم أتناول مايتعلق برسم الكلمات إلا من حيث بيان ظواهرها؛ لأني لو أردت إجمال ذلك لاحتاج لبحث مستقل؛ وإنما بحثي هذا عبارة عن مقدمة أو مدخل لعلم الرسم.

---

(١) صحيح مسلم: لمسلم النيسابوري كتاب الصلاة صلاة المسافر وقصرها وباب فضل قراءة القرآن (١/ ٥٥٣).

خطوات البحث:

١ - اطلعت وقرأت في بعض كتب الرسم.

٢ - جمعت ماأريد أن أكتب عنه من فقرات البحث.

٣- كتبت عن كل فصل على حدة ورجعت في كل فصل إلى عدد من المراجع سواء كتبت منها أو استفدت منها فقط.

٤ - ثم رتبت الفصول والمباحث حسب أولويتها في الموضوع .

٥ - عمدت إلى الاختصار غير المخل.

الهدف من البحث:

١ - إجلال كتاب الله تعالى والتقرب من ساحته بمعرفة ما يتعلق بالرسم العثماني.

٢ - التذكير بأهمية علم الرسم وشدة تعلقه بالقرآن وقراءاته.

٣- بيان مفهوم الرسم العثماني للمصحف ومايتعلق بذلك.

٤ - الإيضاح بأن رسم المصحف توقيفي وليس اصطلاحي كما يزعم البعض بذلك .

هيكل البحث:

ضمنت بحثي مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول : مفهوم الرسم وأقسامه.

المبحث الثاني: تاريخ الرسم القرآني

المطلب الأول: رسم القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني:رسم القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

المطلب الثالث: رسم القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنه.

المبحث الثالث: مصادر الرسم العثماني.

المبحث الرابع:ظواهر الرسم العثماني.

المطلب الأول: ظواهر الرسم العثماني.

المطلب الثاني:موقف العلماء من تفسير ظواهر الرسم العثماني.

المبحث الخامس: رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح.

المطلب الأول: المذهب الأول وأدلته.

المطلب الثاني: المذهب الثاني وأدلته.

المبحث السادس: أقوال العلماء في حكم كتابة القرآن بالرسم العثماني وأدلتهم.

المبحث السابع: التأليف في علم الرسم.

المطلب الأول: دوافع التأليف في مجال علم الرسم.

المطلب الثاني: أسماء بعض الكتب المؤلفة في علم الرسم.

المبحث الأول

مفهوم الرسم وأقسامه

الرسم لغة:الأثر، ويرادفه الخط، والكتابة، والرقم، والوشم، وإن غلب الرسم على خط المصاحف(١).

أنواع الخط (الرسم):

١- **الخط العروضي**: وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى، فهو جرى على ما أثبته اللفظ.

٢- **الخط الاصطلاحي**:ويسمى الرسم الإملائي، وهو الرسم الذي وضع العلماء في البصرة والكوفة قواعده، وقواعده عرضة للتغيير والتبديل،ومتطورة مع الزمن، وهو ما نستعمله.

٣- **رسم المصحف**: وهو الرسم العثماني: وهو الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن الكريم وكلماته، أثناء كتابة القرآن في جميع مراحله الكتابية التي كان أخرها كتابته في عهد عثمان رضي الله عنه(٢)، وهو موضوع بحثنا.

تسميته بالرسم العثماني:نسبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه، ولكن هذه التسمية ليست لأن عثمان ابتكره ولأن رسمه مخالفا للرسم الذي تم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت هذه

(١) الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني د / محمد محمد سالم محيسن

(٢) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص ١٤ – ١٥ – ١٦).

التسمية: لأن الفضل يرجع إلى نسخ عثمان –رضي الله عنه–التينسخهامنصحفأبي بكر – رضياللهعنه–فيتعميمهذاالرسم وإذاعته في الأفاق والأمصار، بعد وصول المصاحف إليها[1].

استمداد علم الرسم: من إرشاد النبي صل الله عليه وسلم لكتبة الوحي ومن المصاحف العثمانية ومن المصاحف المستنسخة منها.

فضله: فضله على غيره من العلوم كفضل القرآن على سائر الكلام.

نسبته إلى غيره من العلوم: التباين.

فائدته وأهميته:

١- المتابعة الخطية للكتاب. ٢- المطابقة اللفظية للقارئ.

٣-تميز أنواع المخالفة المغتفرة من غيرها، وتميز ما وافق رسم المصحف من القراءات فيقبل وما خالفه فيرد حتى لو نقل من وجه من القراءة متواتر ظاهر الوجه في العربية إلا أنه مخالف لرسم المصاحف؛ فإن كنت مخالفته من نوع المخالفات المسطورة في الفن قبلت القراءة به وإلا ردت[2].

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص ١٦).

(٢) سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين الكتاب المبين للضباع (ص ٢٣).

المبحث الثاني

تاريخ الرسم القرآني

المطلب الأول: رسم القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

لقد ثبت بما لا يقبل الشك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة الوحي عند نزوله ويأذن لمن يريد كتابته، فقد كان الصحابة يتلقونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، فيسطرونه فيما يتيسر لهم من وسائل الكتابة المختلفة، من اللخاف والرقاق وورق البردي والعظام وغير ذلك، فقد كانت مكة أصلا بلد ثقافة، ويتوفر فيها الكتاب والقراء؛ حيث كانت المجامع الثقافية الموسمية في عكاظ وذي المجاز والمجنة وغيرها، تفرض على شباب أن يكونوا على علم بالقراءة والكتابة، ولذلك فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم فداء الأسير من قريش يوم بدر أن يعلِّم عشرة من أطفال المسلمين في المدينة القراءة والكتابة.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا في بداية الأمر على تسجيل كل ما ينزل عليه من القرآن، حتى أنه في البداية نهى عن كتابة شي غير القرآن حيث يقول في حديث أبي سعيد الخدري: (لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن، ومن كتب عني شي غير القرآن فليمحه)[1].

وقد بلغ كتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعين كاتبا وكان بعضهم منقطعا لكتابة الوحي، ومن أشهرهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن سعد بن أبي المسرح، وحنظله ابن الربيع[1].

(١) صحيح مسلم: لمسلم النيسابوري كتاب الزهد والرقائق، باب التثبيت في الحديث وحكم كتابة العلم (٤/ ٢٢٩٨).

قال الخطابي: إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في مصحف واحد لما كان يرقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما أنقضى نزوله بوفاته الهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءا بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فقد كان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر وقد كان القرآن كتب كله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور[٢].

المطلب الثاني: رسم القرآن الكريم في خلافة أبي بكر :

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تولى أبي بكر الصديق الخلافة، وكانت الأوضاع حينئذ مضطربة، إذا ارتدت بعض القبائل من الإسلام وقامت حروب الردة المعروفة، واستشهد فيها كثير من حفاظ القرآن حينئذ اشتدت الحاجة لجمع هذه الصحف المكتوبة في مكان واحد تمهيدا لنسخها في المصاحف ليسهل نشرها في الأفاق.

وكان عمر بن الخطاب أول من رأى ذلك وسعى إليه، فقد روي في الصحيح عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال[٣]:" أرسل إلى أبو بكر عند معقل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر في أهل اليمامة بقراءة القرآن، واني

(١) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري (ص ٩٦).

(٢) ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية د/ محمد الحبش (ص ٨٤).

(٣) صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالي: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم .....} (٤/ ١٧٢٠).

أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وأني أرى أن تأمر بجمع القرآن".

قلت لعمر:"كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر: (هو والله خير)، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر".

قال زيد: قال أبو بكر:(إنك رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه"، فقال زيد: فو الله لو كلفوني في نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [1].فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر.

وهكذا فإن منهج زيد بن ثابت في كتابة القرآن هو اعتماد الوثيقتين المحفوظة والمكتوبة، وقد عثر على سائر آيات القرآن مكتوبة كمان يحفظها هو وزملاؤه من الصحابة، وهي الوثائق التي كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخبر يؤكد أنه عثر على أكثر من وثيقة مكتوبة لجميع آيات القرآن إلا وثيقة واحدة مكتوبة، كانت لدي أبي خزيمة الأنصاري فقط،

(١)سورة التوبة: ١٢٨-١٢٩.

الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين، فطابق بين حفصة وبين الوثيقة التي وجدها، يؤيدها عشرات الصحابة الحفاظ ومنهم: زيد بن ثابت، فنسخها في المصحف، وخلال فترة قصيرة جمع القرآن كله بوثائقه الأولى لدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فنسخت بين اللوحين، وخرجت إلى الوجود أول نسخة كاملة من القرآن الكريم، بالغة التوثيق والتدقيق، وهي في الوقت نفسه أول كتاب ينسخ بالعربية [1].

وفي خلافة عمر بن الخطاب بقي المصحف على حاله لدى عمر ، وبقي الاعتماد الأساسي على الحفظ والإقراء ، على الاستعانة بالصحف الخاصة لدى الصحابة ، والمصحف الأمام الموجود لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الثالث: رسم القرآن في خلافة عثمان (الرسم العثماني)

تضافرت الأسباب التي جعلت عثمان رضي الله عنه يفكر في جمع الناس على مصحف واحد في رسمه وهجائه.

من الأسباب التي أدت إلى هذا الرسم والنسخ:

١- أنَّ حركة نسخ المصاحف في الأمصار كانت في اتساع مستمر وكان ذلك يتم في ظل رخصة الأحرف السبعة.

٢- الامتزاج اللغوي سواء بين العرب أنفسهم أم بينهم وبين غيرهم من الداخلين في الإسلام.

٣- حركة الفتح الإسلامي التي كانت في عهد عمر بن الخطاب أتاحت أن يلتقي المسلمون ويتدارسوا القرآن ويتذاكروه، وكان كل واحد يقرأه مثل ما تعلمه من الصحابي الذي تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشرعية د/ محمد الحبش (ص ٨٧).

٤- وقوع الشحناء والجدال بين بعضهم البعض وإدعاء بعضهم إن قراءته أصبح من قراءة غيره[١].

فينقل ابن حجر أن عمر أنكر على ابن مسعود قراءته (عتى حين) أي: (حتى حين)، وكتب إليه: أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة[٢].

تنفيذ العمل والقائمون عليه:

كان أول ما بدأ به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لتحقيق ذلك أن خطب الناس في المدينة، وفيهم كثير من الصحابة، يستشيرهمويدعوهم إلى القيام بهذه المهمة في المدينة، وفيهم كثير من الصحابة، يستشيرهم ويدعوهم إلى القيامبهذه المهمة لأن الأمر قد استفحل بين القراء وكثير الجدل والنقاش بهذا الموضوع فخشي عثمان وأصحابه من حصول الفتن، وقيل:إن الذين أمرهم عثمان بكتابة القرآن هم أربعة وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام [٣].

خط المصاحف:

كتبت تلك المصاحف جميعا بالخط الكوفي القديم، وظلت الكتابة بالخط الكوفي مفضلة لدي الناس ، حتى تحولوا عنها إلى خط النسخ في القرآن الرابع الهجري لكونه أكثر

(١) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم الحمد (ص/ ١٠٧ – ١٠٨)، والقراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني د/ محمد الحبش (ص/ ٨٧ – ٨٨).

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، باب نزل القرآن بلسان قريش (٩/ ٩).

(٣) ينظر: المقنع لأبي عمرو الداني (ص/ ١٤ – ١٥)، والقراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني د/ محمد الحبش (ص/ ٨٨).

وضوحا من وأبعد عن الالتباس، ولا يزال الخطالنسخي هو المستعمل إلى اليوم في كافة المصاحف[1].

عدد نسخ المصاحف التي كتبت في عهد عثمان رضي الله عنه :

الخلاف في عدد المصاحف العثمانية مشهور وهو يدور بين أربع أو خمس أو سبع أو ثمان نسخ من المصاحف.

قال أبو عمرو: أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة، وقد قيل أنه جعله سبع نسخ، ووجه إلى مكة نسخة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصح وعليه الأئمة [2].

قال السيوطي: اختلف في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة.

وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف[3].

المبحث الثالث

مصادر الرسم العثماني

مما اعتنى بها علماء المسلمون من ناحية القرآن رسمه ووصف هجاء وكل كلمة وردت في المصحف، خاصة تلك التي تميزت برسم معين، إذا ما أن وصلت حتى سارع المسلمون إلى نسخ

(١) ينظر : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني د/ محمد الحبش (ص/ ٨٨).

(٢) ينظر: المقنع للداني (ص ١٩).

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي (١/ ١٨٩).

المصاحف التي كتبت في خلافة عثمان –رضي الله عنه–إلى الأمصار الإسلامية حتى سارع المسلمون إلى نسخ المصاحف منها ومطابقتها بما لديهم حرفا بحرف وكلمة بكلمة.

وبالتتبع تبين أن مصادر الرسم العثماني ترجع إلى أمرين:

الأول: المصاحف العثمانية التي كتبها الصحابة رضوان الله عليهم بتكليف من عثمان بن عفان. ومن ثم نُسب رسم هذه المصاحف إليه، فقيل: الرسم العثماني.

أو المصاحف التي كتبت موافقة في رسمها للمصاحف العثمانية[1]. ورسم المصاحف يعطي الثقة الكاملة بكل ما رواه الأئمة من كون ذلك هو حقيقة ما كان عليه الرسم في المصاحف.

ومع ذلك فإن اعتماد بعض ما تقدمه المصاحف القديمة التي سلمت من التلف إلى الوقت الحاضر يعطي مزيدا من الثقة بما رواه مؤلفوا كتب الرسم ، إضافة إلى ما يمكن أن تقدمه تلك المصاحف من أمثلة جديدة تساعد في إرساء أسس فهم صحيح وواضح لظواهر الرسم المتعددة[2].

الثاني : الكتب المؤلفة في الرسم

وهذه المؤلفات التي صنفها العلماء ، اقتبسوا مادتها العلمية من المصاحف ، وإقامتها على نحو ماجاء في المصحف الإمام الذي وجه إليهم ، وهكذا قامت المصاحف المنسوخة عن الأمهات مقام الأصول لأنها نسخة منقولة عنها. وقد ظهر في كل مصر من الأمصار إمام روى ما ورد في

١) ينظر :الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني د/ محمد سالم محيسن (ص ٢٧).

٢) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري الحمد (ص ١٨٨).

مصحف بلده ، إذ أن أئمة القراءة كانوا يرون كيفية رسم الكلمات ، إلى جانب روايتهم للقراءات.

وفي هذا المعنى ، يقول الإمام أبو عمرو الداني ، في مقدمته: (هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله ما سمعته من مشيختي ، ورويته عن أئمتي من مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار – المدينةومكةوالكوفةوالبصرة والشام وسائر العراق –المصطلح عليه قديم المختلفا فيه ومتفقا عليه،وما أنتهي إلي من ذلك وصح لدي منه، عن الإمام مصحف عثمان بن عفان –رضي الله عنه–وعن سائرالنسخ التي أنتسخت منه الموجه بها إلى الكوفة والبصرة والشام ، وأجعل جميع ذلك أبوابا وأصنفه فصولا وأخليه من بسط العلل وشرح المعاني ... لكي يقرب حفظه ، ويخف متناوله .....إلخ)[1]

المبحث الرابع

ظواهر الرسم العثماني وموقف العلماء منها

المطلب الأول: ظواهر الرسم العثماني

فالأصل في كل كلمة أن تكتب بحسب منطوق حروفها ، بدون زيادة أو نقصان ، أو إبدال أو غير ذلك ، وهو ما يعرف بالرسم القياسي ، وأكثر الكلمات القرآنية متفقة مع هذه القواعد.

وقد خرجت عن هذه القواعد بعض الألفاظ ، فرسمت بالزيادة أو الحذف أو الإبدال، أو غير ذلك من الظواهر التي تضمنها علم (الرسم العثماني).

١) ينظر: المقنع لرسم مصاحف الأمصار للداني (ص ١٢).

وقد حصرها العلماء في: الحذف، الزيادة، الهمز، البدل، الفصل، الوصل، وما فيه قراءتان متواترتان وكتب على إحداهما.

أولاً: الحذف، وتحته ثلاثة أنواع:

أ- حذف الإشارة: وهو أن يكون موافقا لبعض القراءات مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[1] بحذف ألف واعدنا وإثباتها إشارة إلى قراءة الحذف.

ب- حذف الاختصار: كحذف ألف جمع المذكر السالم والمؤنث السالم، مثل قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[2].

ت- حذف الاقتصار: وهو ما اختص ببعض الكلمات دون بعض، مثل قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ﴾[3].

ثانياً: الزيادة

مثل زيادة الألف في قوله تعالى:﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾[4].

وزيادة الياء في مثل قوله:﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ ﴾[5].[6]

---

(١) سورة البقرة: ٥١

(٢) سورة المائدة: ٤١

(٣) سورة الأنفال: ٤٢

(٤) سورة النمل: ٢١

(٥) سورة الذاريات: ٤٧

(٦) ينظر: رسم المصحف وضبطه، د/ شعبان محمد إسماعيل (ص/ ٣٧ – ٣٨).

ثالثاً: البدل

وهو جعل حرف مكان حرف آخر، كرسم الألف واوا في مثل:﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾.

رابعاً: الفصل والوصل

أي: قطع الكلمة عما بعدها أو وصلها بها، مثل قطع: (أم) عن (من) في قوله تعالى:﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[1]، أو وصلها بها في قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾[2].

خامسا: رسم الهمزة: لرسم الهمزة عدة حالات، خلاصتها:

أ- إذا كانت ساكنة سواء وسطاً أو طرفاً فإنها تصور بحسب الحرف الذي قبلها مثل:﴿ أَنشَأْتُمْ ﴾تصور ألفاً،﴿ نَبِّئْ ﴾تصور ياء، ﴿ ٱللُّؤْلُؤُ ﴾تصور واو.

ب- إذا كانت متحركة في ابتداء الكلام رسمت ألفاً مطلقاً.

ت- وإن كانت وسطاً:ترسم واوا إذا كانت مضمومة أو مفتوحة وقبلها كسر مثل:﴿ يَبِيسُوا۟ ﴾﴿ فِئَةٍ ﴾﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾،وتحذف صورتها إذا سكن ما قبلها مثل: ﴿ يَسْـَٔمُونَ ﴾﴿ نِسَآئِكُمْ ﴾؛إلا إذا كانت مكسورة بعد ألف فإنها ترسم ياء مثل:﴿ قَآئِمَةٌ ﴾أو مضمومة بعد ألف ترسم واو مثل:﴿ هَآؤُمُ ﴾.

(١) سورة النساء: ١٠٩

(٢) سورة الملك: ٢١

ث- وإذا كانت متطرفة:إن كان ما قبلها متحرك رسمت بصورة الحرف الذي منه حركته مثل:﴿بَدَأَ﴾﴿قُرِئَ﴾،وإن كان ما قبلها ساكن لم ترسم صورتها مثل:﴿مِّلْءُ﴾﴿شَيْءٍ﴾.

وهناك استثناءات خرجت من القواعد، لعلل وأسرار عرفناها أو لم نعرفها[1].

سادساً: ما كانت فيه قراءتان ورسم على أحدهما

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[2]، كتبت في مصحفي أهل المدينة والشام (وأوصى)، وفي بقية المصاحف (ووصى) حسب قراءة كل منهم.

المطلب الثاني: موقف العلماء من ظواهر الرسم العثماني

إزاء هذه الظواهر التي جاءت في الرسم العثماني مخالفة لقواعد الرسم القياسي، اختلف العلماء في ذلك على اتجاهين:

الاتجاه الأول: أن الصحابة –رضي الله عنهم–الذين كتبوا المصاحف كانوا متقنين لقواعد اللغة العربية والخط العربي، فكتبوا المصاحف على هذه القواعد وخالفوا بعض القواعد في بعض الكلمات لعلل وأسرار كثيرة، تتفق على مكانة القرآن الكريم وكيفية تلاوته[3].

(١) ينظر: المقنع، لأبي عمرو الداني (ص/٣٣-٤٣-٦١)، ورسم المصحف وضبطه، د/ شعبان محمد إسماعيل (ص/٣٧-٣٨-٣٩).

(٢) سورة البقرة: ١٣٢

(٣) ينظر: رسم المصحف وضبطه د/ شعبان محمد إسماعيل (ص/ ٤١ إلى ٤٨).

قال الإمام ابن الجزري: ((فانظر كيف كتبوا (الصراط) و (المصيطرون) بالصاد المبدلة من السين وعدلو عن السين التي هي الأصل، لتكون قراءة السين–وإنخالفتالرسممنوجه–قد أتت على الأصل فيتعادلان[1] ، وتكون قراءة الإشمام محتملة،ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل))[2].

الاتجاه الثاني:وهو اتجاه خط الصحابة في الكتابة.

ويرى أن الاختلاف في كتابة المصاحف بظواهره المتقدمة كان ناشئا عن جهل الصحابة – رضياللهعنهم–بقواعد الخط وبعدهم عن الصنائع، وجهلهم[3].

ويتمسك أصحاب هذا الاتجاه بما ورد من أثار منسوبة إلى بعض الصحابة –رضي الله عنهم– يفيد ظاهرها وقوع بعض الأخطاء في رسم بعض الكلمات ومن هذه الآثار:

عن الحارث بن عبد الرحمن عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي قال: لما فرغ من المصحف أتى به عثمان، فنظر فيه، فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئا من لحن، وستقيمه العرب بألسنتها[4].

وقد ناقش العلماء الاستدلال بهذا الأثر بأنه لا يصح من عدة وجوه:

---

(١) أي: فيتعادلان الأصل والرسم.

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب (١/ ٣٤ – ٣٥).

(٣) ينظر: رسم المصحف وضبطه د/ شعبان محمد إسماعيل (ص/ ٤٩–٥٠).

(٤) أخرجه الداني بسنده عن عمران القطان به، المقنع للداني (ص/ ١٢١).

قال الداني : هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين[1]:

١- انه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل؛ لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه.

٢- إن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان –رضي الله عنه–لمافيه من الطعن عليهم عم حله من الدين ومكانه من الإسلام وشدة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة، فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأبرار نظرا لهم، ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى غيره من بعد تفسيره ولو صح ذلك من عثمان فوجهه أن يكون عثمان أراد باللحن المذكور فيه، التلاوة دون الرسم، إذ كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلبت بذلك معنى التلاوة، وتغيرت ألفاظها، فمما زيد في رسمه من الألف والياء والواو، لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته لصير الإيجاب نفيا، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه فأتى بلحن ظاهر من سمعه، مع كون رسم ذلك جائزا مستعملا، فعلم عثمان إذ وقف على ذلك أن من فاته تميز ذلك سيأخذ ذلك عن العرب، إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم، فيعرفوه بحقيقة تلاوته، ويدلونه على صواب رسمه فهذا وجه عندي والله أعلم[2].

(١) ينظر: رسم المصحف وضبطه د/ شعبان محمد إسماعيل (ص/ ٥٠ -٥١).

(٢) ينظر: المقنع للداني (ص/ ١١٩- ١٢٠).

المبحث الخامس

رسم المصحف بين التوقيف والاصطلاح

المطلب الأول: المذهب الأول

يرى جمهور العلماء:أن الرسم العثماني، توقيفي لا مجال للعقل فيه، وليس لاجتهادات الصحابة، أو غيرهم دخل فيه،ويصور لنا هذا المذهب: صاحب كتاب الإبريز فيقول: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيفي من النبي –صلياللهعليه وسلم–، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الأحرف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وما كانت العرب في جاهليتها، ولا أهل الإيمان من سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شبه ذلك الرسم لا في التوراة ولا في غيرهما من الكتب السماوية[1].

أدلة المذهب الأول:

١ – من القرآن: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]وخبر الله تعالى يجب أن يكون صادقا ويستحيل عليه الكذب، ولاسيما أنه تعالى أكد خبر حفظه الذكر الحكيم بالجملة الاسمية و(إن) و(اللام) ففيه ثلاث تأكيدات[3].

فلو كان الرسم العثماني غير توقيفي، بأن كتبه الصحابة على ما تيسر لهم كما يزعم أناس، لزم أن يكون الله تعالى قد أنزل على نبيه الكلمات التالية مثل: ﴿وَيُؤْتِ ﴾﴿وَيَدْعُ ﴾﴿سَنَدْعُ ﴾بالياء

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٢٢) .

(٢) سورة الحجر: ٩

(٣) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٢٣).

والواو، وأن يكون قد أنزل نحو:﴿رَحْمَتَ﴾بالهاء، ثم كتبها الصحابة لجهلهم بالخط يومئذ بحذف الياء والواو وبالتاء، لم تتبعهم في ذلك الأمة المحمدية (خطأ) واستمر الخطأ إلى يومنا هذا؟ فلو كان الأمر كذلك لكان خبره تعالى كاذبا وكذب خبره تعالى باطل، وهو كون رسم هذه الكلمات ونظائرها من عند الصحابة بلا توقيف نبوي[1].

٢- من السنة: كتب القرآن الكريم بحضرة النبي -صلىاللهعليهوسلم-وبينيديه،وكان-صلىاللهعليهوسلم-يرشدكتبةالوحيإليرسمالحروفويطالبهمأنتكونالكلماتواضحةوكثيرمنالصحابةكانوايكتبونفيالصحائفكلأيةحفظوها، ويعرضونها على النبي عليهالسلام، وغالبا ما كان النبي عليه السلام يملي عليهم مباشرة، فيكتبون ما نزل بحضرته ويعرضون عليه مرة أخرى حتى يقرهم، بهذه الكيفية كتب القرآن من أوله إلى أخره في حياة النبي على صحائف ، وقراطيس متفرقة وكانت هذه الصحائف أغلى عندهم من أنفسهم وأحب إليهم من كل حبيب، وقد ورد أنه قال لمعاوية كاتب وحيه: (ألف الدواة وحرف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم) فإن كان كتبة الوحي قد كتبوه على ما تيسر لهم -كما يزعم فريق- فقد قرر عملهم النبي الأكرم، وتقريره -صلى الله عليه وسلم- حجة شرعية كقوله وفعله والله سبحانه وتعالى لا يقر نبيه على خطأ[2].

٣- الدليل من الإجماع:بعد أن توفى صلى الله عليه وسلم جمع القرآن في صحف أبي بكر، وكتب بنفس الرسم كالذي كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأقرأ أصحابه به عليه، ولم يفعل عثمان شيئا سوى أنه نسخ عدد مصاحف مع صحف أبي بكر، ولما نسخ المصاحف أمر الناس بالاختصار على ما

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٢٤- ٢٥).

(٢) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٢٥ – ٢٦).

وافقه لفظا، وبمتابعتها خطا، ولذا أمر بما سواها أن يحرق، وما أحرق عثمان من المصاحف التي أحرقها بإجماع الصحابة إلا لمخالفة رسمها رسم صحف أبي بكر، وكان إحراقها إعلاما تاريخيا منه بأن كل ما يخالف هذا الرسم فهو باطل مردود(١).

وبعدهم جاء عصر التابعين فنقلوه من الصحابة بالإقناع واستمر المصحف مكتوبا بهذا الرسم ولم يثبت أن أحد من المجتهدين غير في هجاء المصاحف ورسمها الذي كتبت به أولا، ليساير الرسم المحدث في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة.

٤- الاستدلال باختلاف رسم الكلمة الواحدة باختلاف مواضعها، وهذا مما يدل على توقيف رسم المصحف حيث أن الكلمة من القرآن قد تكتب في بعض المواضع برسم وفي مواضع أخرى برسم آخر مع أنها نفس الكلمة ومن أمثلة ذلك كلمة: (بسم) حيث وردت محذوفة الألف في كل فواتح السور وفي الآيتين: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾(٢)، وأية: ﴿وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٣)؛ بينما هي مثبتة الألف في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾(٥)، وغيرها كثير، فلو كان الرسم بالاصطلاح لما وقع هذا التخالف.

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٢٩).

(٢) سورة هود: ٤١.

(٣) سورة النمل: ٣٠.

(٤) سورة الحاقة: ٥٢.

(٥) سورة العلق: ١.

المطلب الثاني: المذهب الثاني

يرى بعض العلماء أن هذا الرسم اصطلاح من الكتبة الذين كتبوا القرآن في جمع عثمان -رضي الله عنه- وقد وافقهم الخليفة الثالث عليه،ويقولون: أن الكتابة لم يفرض الله تعالى على الأمة فيها شيئا، أو لم يوجب رسما بعينه دون غيره، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحد محدود، لا يجوز تجاوزه ولا في نصوص السنة ما يوجب ذلك ولا دلت عليه القياسات الشرعية،ولذلك: اختلفت خطوط المصاحففمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح وأن الناس لا يخفى عليهم الحال.

وإذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة وكان الناس قد أجازوا ذلك، من غير تأثيم ولا تناكر[1].

ويذهب إلى هذا الرأي بعض العلماء ومنهم : ابن خلدون[2]، وأبو بكر الباقلاني[3] قديما، وفي العصر الحديث الشيخ حسين والي[4].

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (٤١-٤٢).

(٢) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٢)، نقلا عن: عبد الرحمن بن خلدون د.علي وافي (ص/ ٢٧١).

(٣) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٢) نقلا عن: البيان (ص/ ٢٤٩).

(٤) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٢) نقلا عن: المصحف الشريف للشيخ القاضي (ص/ ٩٨).

المذهب الثاني:

(الدليل الأول): يقولون :ليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه ولا نصوص السنة ولا في القياسات الشرعية: أن الرسم في القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه.

ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، ومن أدعى:أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنى له ذلك[1].

ويمكن دفع الدليل بما يلي:

١- يمكن دفعه إجمالا بالأدلة السابقة التي ساقها جمهور العلماء لتأييد مذهبهم في توقيفية هذا الرسم[2].

٢- أما استنتاجهم من هذا الدليل: اختلاف رسوم المصاحف، فلا يُسَلم لهم أن المصاحف اختلفت خطوطها بعد قيام الإجماع وانعقاده، ومعرفة الناس بالرسم التوقيفي، وهو رسم عثمان رضي الله عنه[3]،فضلا أن هذه الاختلافات: لم تكن موجودة فيما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانت في الصحف التي يكتبونها لأنفسهم[4].

(١) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٧٤).

(٢) ينظر : ص ١٣-١٤ من هذا البحث .

(٣) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٣٧٥).

(٤) ينظر: مقدمتان في علوم القرآن (ص/ ٣٢).

(والدليل الثاني): يقولون:لم تكن العربية في عهود الجمع القرآني الثلاثة قد بلغت أشدها واستكملت نموها بعد، ولم يكن الكتاب حينئذ قد أتقنوها ولم يكونوا مختارين فيما كتبوا؛ إذ لم يكن لهم دراية بغير ذلك من قواعد الكتابة، وقد كتبوا ذلك على ما تيسر لهم معرفته[1].

يقول ابن خلدون في مقدمته:كان الخط العربي لأول الإسلام، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام، والإتقان والإجادة، لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع من أجل ذلك في رسمهم للمصحف؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسمهم، ما اقتضه رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها، تبركا بما رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق بعده المقتفون لوحيه من كتاب الله وكلامه،ثم يقول:ولا تلتفتن إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم –أيالصحابة–كانوامحكمينلصناعةالخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكل وجهة، كقولهم في زيادة الألف في:﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾أنه تنبه على أن الذبح لم يقع، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيه للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وليس ذلك بصحيح[2].

ويدفع هذا الدليل ويرد بما يلي:

١ – القولبأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة ينافيه عدة أمور منها:

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٤٤).

(٢) ينظر : مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ).

أ- أن كتاباتهم وخطوطهم خاليه من الخطأ الإملائي ومازالت لها بقايا[1].

ب- أن كتاباتهم لا بد أنها- من الناحية المنطقية -كانتوفقالقواعدالإملائية،وإلاإعتورهااللبس[2].

ت- تميزهم بين (عمر) و (عمرو) بزيادة واو في الثاني، إلحاقهم إياها في (أولئك) فرقا بينه وبين (إليك)، وذلك مما يدل على عنايتهم بدفع الخطأ في فهم الكتابة[3].

ث- ومن المعلوم أن الكتابة العربية قد بلغت قبل الإسلام مبلغا، به تفنن العرب في ضروبها، حتى وصلت إلى الصحابة على أيدي أناس مجيدين لها، مالكين لناصيتها، وقد أتقنها الصحابة، أخذا بروح الإسلام، ودعوته إلى كل تقدم[4].

ج- يقول الألوسي: والظاهر أن الصحابة، رضوان الله عليهم، كانوا متقنين رسم الخط، عارفين ما يقضي أن يكتب وما يقضي أن يكون، وما يقضي أن يوصل، وما يقضي أن لا يوصل إلى غير ذلك لكن خالفوا في بعض المواضع لحكمة[5].

---

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٥)، نقلا عن: تاريخ القرآن وغرائب رسمه (ص/ ١١٨).

(٢) ينظر: الجمع الصوتي الأول للقران الكريم د/ لبيب السعيد (ص/ ٣٨٠) .

(٣) ينظر: المحكم للداني (ص/ ١٧٧).

(٤) ينظر : رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٦).

(٥) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٦)، نقلا عن: تاريخ القرآن وغرائب رسمه (ص/ ١١٧).

٢- ومن الثابت أنه ليس لازما في الكتابة العربية أن يوافق المنطوق المكتوب دائما، ولا يكون ذلك إلا في الخط العروضي[١].

٣- أن القول: بأن هذا الرسم اصطلاحي، كتبه الصحابة على ما تيسر لهم أنذاك لجهلهم بالخط مع إجماع الأمة على الرسم الذي يحتويه المصحف العثماني، فهذا يتنافى مع وعد الله بحفظه.

٤- أنه إذا كان هذا الرسم اصطلاحا- كما يدعون -لزمأنيكونماكتبهالصحابة:

أ- إما أن يكون هو عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عيهم وسلم .

ب-أو غيره.

فإن كان عينه فهو الإتباع والتوقيف ولا مخالفة، وأن كان غيره لزم:

١- نسبة الصحابة على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كتب بين يديه، فلو أنهم خالفوا ما كتب بين يديه لزم الجمع بين النقطتين:حيث أمرنا بالاقتداء بهم وفي نفس الوقت فمن مأموره بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- تطرق الشك إلى جميع مابين دفتي المصحف، وحينئذ تنحل عقدة الإسلام بالكلية.

وعلى هذا:فما أدى إليه أيضا باطل : وهو إن الرسم غير ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.

وثبت عنه : وهو أن هذا المرسوم في المصحف هو نفسه ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٧).

وبهذا تبقى للرسم التوقيفية واضحة[1].

المبحث السادس

أقوال العلماء في حكم كتابة القرآن بالرسم العثماني

تعتبر هذه القضية من القضايا الهامة التي تتصل اتصالا مباشرا بالقرآن الكريم، لذلك اهتم بها العلماء وصنفوا فيها المؤلفات قديما وحديثا، فمنهم من يرى أنه توقيفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة، حيث أمرهم بكتابته وأقرهم عليه، ومنهم من يرى انه اصطلاحي، ولا مانع من مخالفته وكتابته بالطرق الحديثة تحقيقا للمصلحة العامة للمسلمين.

وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

القول الأول:أنه يجب إتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف، ولا يجوز تغيره، وتحرم مخالفته،وهو مذهب جمهور الأمة سلفا وخلفا، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك، وذكروا عليه الأدلة، ومن العلماء الذين ذهبوا إلى هذا القول[2]:

١- الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩هـ

٢- الإمام يحي النيسابوري ت ٢٢٦ هـ

٣- الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ

٤- الإمام أبا عمرو والداني ت ٤٤٤هـ

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين (ص/ ٤٨- ٤٩) .

(٢) ينظر : الفتح الرباني (ص/ ٥٨).

٥- الإمام علي بن محمد السماوي ت ٦٤٣هـ

٦- الإمام إبراهيم بن عمر الجعبري ت ٧٣٢ هـ

٧- الإمام أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ

أدلة القول الأول:

١- إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا على توثيق النص القرآني من جهتين:

أ- الحفظ: فقد كان يحفظ ويقرئ الصحابة ويأمرهم بحفظه.

ب- الكتابة: أنه صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي وقد كتبوا القرآن كله بالرسم العثماني وأقرهم عليه، ويراجعهم فيما كتبوا، حتى إذا وجد خطأ أمرهم بإصلاحه، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يملي علي، فإذا فرغت قال صلى الله عليه وسلم، (أقرأ) فأقرؤه، فإذا كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس)[1].

٢- فعل الصحابة –رضياللهعنهم– فلماتوليأبو بكر الخلافة أمر بجمع القرآن، وكتبه على نفس الهيئة التي كتبت عليها أيام الرسول صلى الله عيه وسلم، ثم جاء عثمان وأمر بنسخ المصاحف من صحف أبي بكر على هذا الرسم.

٣- أن قواعد الإملاء عرضة للتغيير والتبديل من جيل إلى جيل، ومن بلد إلى بلد، فلو كتب المصحف حسب الرسم القياسي وقواعد الإملاء الحديثة لأدي ذلك إلى اختلاف المصاحف،

(١) ينظر: المعجم الكبير للطبراني لأبي القاسم الطبراني (٥/ ١٤٢).

ووقع الناس في الإشكال بذاته، وتعود مشكلة الألفاظ قريبة من المشكلة التي حدثت أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤- تلقي الصحابة ذلك بالرضا والقبول وكانا اثنتي عشر ألف صحابي، فأجمعوا على صحة هذا العمل، وتبعهم على ذلك التابعون والأئمة المجتهدون، وأئمة القراءة في جميع العصور، مثل الإمام مالك رحمه الله عندما سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟فقال : لا إلا على الكتبة الأولى[١].

وقال الداني: بعد أن حكي كلام الإمام مالك (ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة)[٢].

وقال الإمام أحمد: (تحرم مخالفة خط مصحف عثمان واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك)[٣].

وقال الإمام البيهقي: (ومن كتب مصحفا ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئا، فإنهم كانوا أكثر حلما، وأصدق قلبا ولسانا، وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم)[٤].

(١) المقنع للداني (ص/ ١٩) .

(٢) المقنع للداني (ص/ ١٩).

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٦٧).

(٤) تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح القاضي (ص/ ٥٨).

٥- إن تلاوة القرآن لها أحكام خاصة، لا يمكنأن تعرف إلا بالتلقي والمشافهة، حتى يتصل سند التلقي والإقراء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة وبقاء الخط العثماني يدفع المسلمين إلى الحرص على التلقي من أهل الاختصاص[١].

٦- أن الرسم العثماني له خصائص ومميزات ليست موجودة في الرسم الإملائي من هذه المميزات:

أ- الإشارة إلى ما فيه الكلمة من أوجه القراءات. ج- الدلالة على أصل الشكل والحروف .

ب- الدلالة على بعض لغات العرب. ح- الدلالة على بعض المعاني الدقيقة.

ت- اتصال السند. خ- إفادة بعض المعاني المختلفة [٢].

ث- الدلالة على أصل الحركة.

القول الثاني:جواز تغير الرسم العثماني حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة، وقالوا: لا تحرم مخالفة الرسم العثماني، كما أنه لا يجب الالتزام به في كتابة القرآن الكريم[٣].

من ناصر هذا القول: أبو بكر الباقلاني، وابن محفوظ، وكثير من العلماء المعاصرين[٤].

(١) رسم المصحف وضبطه د/ شعبان إسماعيل (ص/٩٦)، نقلا عن: كتاب مع القرآن الكريم لحيدر قفة (ص/١٠٣).

(٢) ينظر: رسم المصحف وضبطه د/ شعبان إسماعيل (ص/ ٦٩- ٧٠- ٧١- ٧٢- ٧٣- ٧٤).

(٣) ينظر : المصحف الشريف ، للقاضي (ص/ ٩٣).

(٤) ينظر : المصحف الشريف للقاضي (ص/ ٩٨).

وأدلتهم: هو قولهم: إن الرسم العثماني بظواهره المتقدمة المخالفة لقواعد الرسم الاصطلاحي، توقع عامة المسلمين في حرج، وتؤدي على التحريف في كتاب الله، فتحاشيا لذلك يجب كتابة المصاحف بالرسم الإملائي الحديث[1].

الرد على هذا القول:

قال ابن الحاج: (أن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه ألا يقرأ في المصحف إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها، أو يتعلم مرسوم المصحف، فإن فعل ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة)[2]، بالإضافة إلى أن القراءات الصحيحة تتفق على الرسم العثماني، ولو كتب بغير هذا لا ختل ذلك، ومن قواعد الشريعة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

القول الثالث: جواز كتابة بالرسم الحديث للعامة، حسب قواعد الخط في أي عصر، مع المحافظة عليه وكتابته بالرسم العثماني للخاصة والعلماء، كأثر من الآثار النفسية التي حافظت عليها الأجيال المتعاقبة.

ممن ناصر هذا القول: الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وبدر الدين الزركشي، ويحتج لهذا المذهب أن فيه:

١ - إحتياطا للقرآن من ناحية. ٢ - ومزيد عناية به من ناحية أخرى.

(١) ينظر: رسم المصحف وضبطه د/ شعبان إسماعيل (ص/ ٧٦)

(٢) رسم المصحف وضبطه د/ شعبان إسماعيل (ص/ ٧٧)، نقلا من: كتاب المدخل لابن الحاج (١/ ٨٦).

فيقولون: في كتابة القرآن على هذا النحو من التيسير الشيء الكثير وأيضا المحافظة عليه، فالتيسير للمبتدئين ولغير المتخصصين، ولمن لا تساعدهم شواغلهم على معرفة الرسم العثماني، وأيضا المحافظة على هذا الأثر الظاهر لسلفنا الصالح(١).

الرد على هذا القول:

الرد على الحجة الأولى : فقول : أن الاحتياط للقرآن الكريم ، هو أن يؤدي على وجهه السليم، ومن أحكام التلاوة المعروفة عند علماء التجويد، وأن يحتفظ بالرسم الذي يحفظ للقراءات القرآنية توافر شروطها دون أن يرسم برسم تضيع معه، وأن نعتني ما استطعنا بعلم كل ما يتعلق بالقران الكريم، وأول شيء تعلق به رسمه في المصاحف، فهذا هو الاحتياط للقرآن الكريم(٢)، أما أن يتناول الاحتياط بما يدفع الكسالى إلى اللجوء لهذه الدعوى، فهذا ما لا يقبل ولا يستساغ .

الرد على الحجة الثانية: نقول: إن من يد العناية بالقرآن الكريم من هذه الناحية، لا تكون بالإبقاء على الهيئة المأثورة في رسمه من السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، مودعة بطون المخازن، وسراديب المتاحف، أنه إذا كانكذلك فسوف يتبع الناس الأسهل، ويتناقص أصحاب الرسم العثماني يوما بعد يوم، ويختفي أمر هذا الرسم ولا ينتشر أمره في العالمين، كذلك: أنه سوف يصبح في الأمة رسمان لكتاب ربها.

(١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين، د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ٥٦- ٥٧) .

(٢) ينظر : تاريخ القرآن والمصاحف موسى جار الله (ص ١١- ١٢) .

فأما الحالة الأولى: وهي إذا ما ذاع أمر الرسم الإملائي، ونزل المصحف على قواعده، فيمكن أن تنشأ دعاوي أخرى، مثل كتابة المصحف بالعامية أو اللاتينية أو الصينية أو غير ذلك لتسهل تلاوته .

وأما الحالة الثانية: وهي أن يصبح رسمان لكتاب الله، فليس في هذا إلا تشتيت وحدة المسلمين، وتمزيق صفوفهم التي يجمعها حبل الله المتين، برسمه التوقيفي[1]، إن القرآن يجب أن تشد عليه همم الناس، وتظهر رغبتهم الجدية فيه، لا أن يذهب طواعية ليتشكل لهم في رسمه حسب دعواهم وما يريدون، والذي يدفعهم إليها الكسل والتخاذل.

المبحث السابع

التأليف في علم الرسم

المطلب الأول : دوافع التأليف في فن الرسم

١- الحرص على كل ما يتعلق بكتاب الله تعالى.

٢- كثير من هجاء الكلمات في المصحف قد جاء على أكثر من صورة.

٣- بعد تدوين العلوم وازدياد استعمال الناس للكتابة مالوا إلى توحيد قواعد الهجاء وظهرت المدارس النحوية في البصرة والكوفة، وكان من بين اهتمامات علماء المدينتين أن يقدموا أسلوبا أيسر للكتابة، شعارهم في ذلك أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ بتقدير الابتداء به

(١) ينظر: رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين ، د/ عبد الحي الفرماوي (ص/ ١٧٤- ١٧٥- ١٧٦) .

والوقف عليه، لكن نساخ المصاحف ظلوا حريصين على ألا يخرجوا على شيء مما في رسم المصاحف، فقد شملت العناية طريقة الكتابة في القرآن الكريم.

٤- ارتباط الرسم بالقراءات كان عاملا أساسيا للحفاظ على رسم الكلمات على صورتها القديمة[١].

ولهذه الأسباب وغيرها اتجه علماء القراءات والعربية إلى حصر الكلمات التي جاءت في المصحف مكتوبة بصورة تخالف ما تعارف عليه الناس في الآونة الأخيرة وكانت حصيلة ذلك الاتجاه والجهود قائمة طويلة من المؤلفات في موضوع رسم المصحف، والتي حفظت للمصحف صورته التي خط بها منذ أنزل.

المطلب الثاني: قائمة بأسماء بعض الكتب المؤلفة في فن الرسم

١- اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق.

٢- مقطوع القرآن و موصوله، وهما للإمام عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ).

٣- هجاء المصاحف، ليحي بن الحارث ألذماري (ت ١٤٥هـ)

٤- مقطوع القرآن وموصوله،لحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)

٥- اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة.

٦- الهجاء.

٧- مقطوع القرآن و موصوله . وهذه الثلاث للكسائي (ت ١٨٩هـ).

٨- اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف . للفراء (ت ٢٠٧ هـ).

(١) ينظر : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري الحمد ص (١٦٨ - ١٦٩) .

٩- هجاء السنة، للغازي بن قيس الأندلسي (ت ١٩٩هـ) تلميذ الإمام نافع .

١٠- هجاء المصاحف . لمحمد بن عيسى الأصبهاني (ت ٢٥٣ هـ)

١١- اختلاف المصاحف .

١٢- الهجاء، وهما لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ).

١٣- هجاء المصاحف . لأحمد بن إبراهيم الوراق (ت ٢٠٧ هـ) وراق خلف .

١٤- المصاحف، لأبي بكر داود (ت ٣١٦ هـ) فيه عدة فصول تختص بالرسم.

١٥- الرد على من خالف مصحف عثمان .

١٦- الهجاء . لأبي بكر محمد بن القاسم أبن بشار الأنبا ري (ت ٣٢٧ هـ) .

١٧- الطائف في جمع هجاء المصاحف .

١٨- المصاحف، وهما لأبي بكر محمد بن الحسن (ت ٣٥٤ هـ) مشهور بابن مقسم العطار المقرئ.

١٩- المحبر .

٢٠- علم المصاحف، وهما: لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت ٣٦٠ هـ).

٢١- الهجاء، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١ هـ).

٢٢- هجاء مصاحف الأمصار لأبي العباس أحمد المهدوي (ت بعد ٤٣٠ هـ).

٢٣- هجاء المصاحف لمكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي (ت ٤٣٧ هـ).

٢٤- البديع في هجاء المصاحف لأبي عبد الله محمد بن يوسف الجهني (ت ٤٤٢هـ).

٢٥- المقنع في مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني .

٢٦- تلخيص المتشابه في الرسم لأحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب(ت ٤٦٣هـ).

٢٧- السبل المعارف إلى رسم المصاحف . لأبي محمد عبد الله بن سهل بن يوسف (ت ٤٨٠ هـ) .

٢٨- التبيين لهجاء التنزيل .

٢٩- التنزيل في هجاء المصاحف . وهما لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦ هـ).

٣٠- المنصف وهي منظومة في الرسم . لأبي الحسن المرادي .

٣١- اللطائف في رسم المصاحف، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٥٦٩ هـ).

٣٢- عقيلة أتراب القصائد في أسني المقاصد، منظومة في مسائل المقنع للقاسم بن فرة الشاطبي (ت٥٩٠هـ).

٣٣- روضة الطوائف في رسم المصاحف، منظومة في الرسم لبرهان الدين إبراهيم الجعبري (ت٧٣٢هـ).

٣٤- واضحة المبهوم في علم المرسوم، منظومة لمحمد بن خليل القشيري.

٣٥- مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، منظومة، للخراز (ت ٧١٨هـ).

٣٦- فتح المنان المروي بمورد الظمآن وهو من أشهر شروح مورد الظمآن، لعبد الواحد بن أحمد الأنصاري(ت١٠٤٠ هـ).

٣٧- دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن للشيخ إبراهيم بن أحمد المار غني التونسي.

٣٨- عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل، لابن البناء (ت ٧٢١ هـ).

٣٩- كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار، للشيرازي (ت ٧٨٠ هـ)[١].

٤٠- إتحاف الإخوان في ضبط ورسم القرآن لإدريس بن محفوظ الشريف[٢] .

٤١- إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين [٣]. للشيخ رضوان المخللاتي (ت ١٣١١هـ).

٤٢- الإعلان بتكملة (مورد الظمآن) لأبن العاشر .

٤٣- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين[٤]، للشيخ علي الضباع.

وهناك بعض المخطوطات منها قد ذكر سابقا مع الكتب وأيضا منها :

٤٤- البسط والبيان فيما أغفله مورد الظمآن . نظم للبيوري في الخزانة الحسنية بالرباط [٥].

٤٥- كشف الغمام عن ضبط مرسوم الإمام للشباني مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط [٦].

(١) أسماء الكتب من(١ إلى ٣٩) ينظر : رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم الحمد (ص/ ١٦٩ إلى ١٨٥).

(٢) مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم ٣٨٢٩ ينظر: الفتح الرباني (ص/ ٥٣).

(٣) مخطوط بمكتبة الأزهر (٢٤١/ ٢٢٢٤٨)، ينظر: الفتح الرباني (ص/ ٥٣).

(٤) الفتح الرباني لمحمد سالم محيسن (ص/ ٥٤- ٥٥- ٥٦- ٥٧).

(٥) مخطوط ضمن مجموع رقم / ٧٤ / ٧ . ينظر: الفتح الرباني (ص/ ٥٣).

(٦) الشباني هو الحسن بن علي بن أبي بكر المنبهي / رقم المخطوط ٢١٤٢ / ينظر : الفتح الرباني ص (٥٦).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد عليه وعلى أله وأصحابه وأتباعه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد :

فقد تم بحمد الله هذا البحث بتوفيق من الله وقد بينت فيه أمورا تتعلق بالرسم العثماني من حيث مفهومه، وحكمه في كتابة القرآن، وأنه توقيفي بالأدلة القاطعة، وبذلك يجب كتابة القرآن بالكيفية التي كتبه بها الصحابة زمن عثمان رضي الله عنهم.

وختاماً أقول :

فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لخدمة كتابه العظيم ، وأن يلهمنا طريق الهدى المستقيم ، والمنهج القويم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.